التمثال العظيم

ذكرنا غير مرة ان الفرنسويين صنعوا تمثالاً عظيماً سموهُ "تمثال الحرية المنيرة العالم" واهدوهُ لاهالي الولايات المتحدة تذكاراً لحريتهم . وقد عثرنا الآن على رسالة في وصف هذا التمثال وغيرهِ من التماثيل العظيمة فاستعنا بها على كتابة المقالة التالية

ان التماثيل الكبيرة لا تكون متقنة مستوفية حقها ما لم تظهر فيها دلالةً واضحة على الغرض المقصود من نصبها ومطابقة تامة للمكان الذي نُصبت فيهِ وما احسن ما قالهُ المسيو لسباريل "وهو ان هذه التماثيل لا تستوفي حقها ما لم تخصص الثوة واللانهاية فتؤثر في النفس كما يؤثر فيها منظر البحر وهزيم الرعد". واجل التماثيل كلها صناعةً واعظمها مهابةً تماثيل المصريين القدماء فان جميع الذين رأوها شهدوا لعظمتها واتقانها للغايات المقصودة منها لا لمجرد كبر جرمها الفائق بل لما فيها من احكام الوضع ودقة الصناعة . والناظر اليها الآن يرى فيها عظمة لم يغيرها كرور الادهار السالفة ولن يؤثر فيها توالي الاعصار التالية [1] . فهي شاهد ابدي على مهارة الاقدمين وصورة حقيقة لصفاء عقولهم وسمو مداركهم . ويتلو تماثيل المصريين في الاتقان تماثيل الاشوريين ولكن الذي وصل منها الينا قليل لا تقاس عظمتهُ بعظمة التماثيل المصرية

(١) وقد شهد بذلك كتاب العرب ايضاً . قال ابو اللطيف في القرن السادس للهجرة بعد وصفهِ للاهرام "وعند هذه الاهرام باكثر من غلوة صورة راس وعنق بارزة من الارض في غاية العظم يسميهِ الناس ابا الهول ويزعمون ان جثتهُ مدفونة تحت الارض ويقضي القياس ان تكون جثتهُ بالنسبة الى راسهِ سبعين ذراعاً تصاعداً . وفي وجههِ حمرة ودهان احمر يلمع عليهِ رونق الطراوة وهو حسنُ الصورة مقبولها عليهِ صحة بهاء وجمال كانهُ يضحك تبسماً . وسألني بعض الفضلاء ما اعجب ما رأيت فقلت تناسب وجههِ ابي الهول فان اعضاءهُ وجههِ كالانف والعين والاذن متناسبة كما تصنع الطبيعة الصور متناسبة . والعجب من مصورهِ كيف قدر ان يحفظ نظام التناسب في الاعضاء مع عظمها . وانهُ ليس في اعمال الطبيعة ما يحاكيهِ ويقابلهُ" . وقال في مكان آخر "واما الاصنام وكثرة عددها وعظم صورها فامرٌ يفوت الوصف ويجاوز التقدير . واما اتقان احكامها واحكام صياغتها ومحاكاة بها الامور الطبيعية فموضع التعجب بالحقيقة . فمن ذلك صنم درستهُ سوى قاعدتهِ فكان نيفاً وثلاثين ذراعاً . وهو حجر واحد من الصوان الاحمر وعليهِ من الدهان الاحمر كان لم يزدهُ تقادُم الايام الا جدةً . والعجبُ كل العجب كيف حفظ فيهِ مع عظمهِ النظام الطبيعي والتناسب الحقيقي وانت تعلم ان كل واحد من الاعضاء الآلية المشابهة لهُ في نفسهِ مقدار ما لهُ الى سائر الاعضاء نسبة ما بذلك المقدار وبتلك النسبة يحصل حسن الهيئة وملاحة الصورة فان اخلَّ شيء من ذلك حدث من الشنع بمقدار الخلل . وقد أحكم في هذه الاصنام هذا النظام إحكاماً ايَّ احكام

ثم انتقلت هذه الصناعة من مصر واشور الى بلاد اليونان فصنع اليونان تماثيل كثيرة جامعة بين العظمة والجمال كتمثال منرفا وكان ارتفاعهُ نحو احد عشر متراً وتمثال جوبيتر الاولمبي وكان ارتفاعهُ نحو اثني عشر متراً وهما اعظم تماثيل اليونان واشهرها وقد افاض في وصفهما كثيرون من المؤرخين الاقدمين لعظم وقعهما في نفوسهم . ومن اشهر تماثيل القدماء ايضاً صنم رودس المعدود بين عجائب الدنيا . والارجح ان ما روي عنهُ من انهُ كان منصوباً فوق البحر لتمر السفن من بين ساقيهِ حكاية اختُلقت في القرن السادس عشر لانهُ لو كان منصوباً كذلك لسقط في البحر وتعذَّر استقراجهُ منهُ هذا فضلاً عن ان نصبهُ على تلك الصورة ضرب من المحال كما ظهر لبرتولدي صانع تمثال الحرية بعد امعان النظر

ومن اشهر تماثيل المتأخرين تمثال باثاريا وهو اقدمها ارتفاعهُ ١٥ متراً و ٧٠ سنتيمتراً . وتمثال المذراء في باي وارتفاعهُ ١٦ متراً وتمثال القديس كارلوس بروميو وارتفاعهُ ٢٣ متراً وتمثال اربينوس في وستفاليا وارتفاعهُ ٣٨ متراً و ٣٠ سنتيمتراً . اما تمثال الحرية المذكور هنا فهو بصورة امرأة لابسة عباءة واسعة الاردان متوَّجة بتاج لهُ اشعة كالاصابع وهي رافعة بيمنها وقابضة على مشعل ملتهب . وارتفاع هذا التمثال من قدميهِ الى رأس المشعل ٤٦ متراً و ٨ سنتيمترات ومن قدميهِ الى قمة رأسهِ ٣٥ متراً . وطول سبَّابة اليد اليمنى متران و ٤٥ سنتيمتراً وطول ظفرها ٣٥ سنتيمتراً وعرضهُ ٢٦ سنتيمتراً . وطول رأس التمثال ٤ امتار و ٤٠ سنتيمتراً وطول انفهِ متر و ١٢ سنتيمتراً . ولما عُرِض الراس في معرض سنة ١٨٧٨ دخلهُ اربعون شخصاً فوسعهم كلهم وحدهُ والمشعل يسع اثني عشر رجلاً . والتمثال كلهُ مصنوع من صفائح نحاس سمك الصفيحة منها ميليمتران ونصف وضمنها قطع من الحديد تشتدُّ بها فيتركب التمثال من مجموعها . وثقل صفائح النحاس ثمانون الف كيلو وصفائح الحديد مئة وعشرون الف كيلو فيكون ثقل التمثال كلهِ مئتي الف كيلو . وقد صُنع على هذا الاسلوب : عُمِل اولاً تمثال صغير علوهُ متر وربع وسبك مراراً عديدة حتى استوفى الصورة التي في ذهن صانعهِ ثم كُبِّر بالمحاكاة فصار علوهُ نحو ثلاثة امتار وكُبِّر ثانية حتى صار علوهُ ١١ متراً فقطع قطعاً كثيرة وبني بناء خشبياً للتمثال الكبير مشابهاً لقطع هذا التمثال الصغير بعد ان قاسها اجزاءهُ وكرروا القياس الوفاً من المرات ثم طُرِق النحاس عليها . ويقال ان هذا التمثال في غاية الاحكام والاتقان حتى انهُ مع كبرهِ الفائق الذي لا يدانيهِ فيهِ تمثال آخر لا يظهر كبيراً بالنسبة الى المكان المعد لهُ فتستوضحهُ العين عن قرب وعن بعد وترى الغاية من نصبهِ واضحة فيهِ وضوح الشمس في رائعة النهار